أبعاد

الإمام علي(ع) في النهج السياسي ورؤية الدولة

حاضر الدكتور ابراهيم بيضون في مقر المجلس الثقافي للبنان الجنوبي في بيروت تحت عنوان «الإمام علي(ع) في النهج السياسي ورؤية الدولة» مساء الجمعة ١٥/ رمضان ١٤١٧ هـ الموافق ٢٤/ ١/ ١٩٩٧م.

قدّم المحاضرة وأدارها عضو المجلس الدكتور حسن الزين بكلمة أشار فيها إلى ضرورة مواكبة المؤرخ لنظرة الفقيه وآرائه وفتاويه. ورأى أن ذلك التجاهل كان في أساس التناقضات الكثيرة التي تمخضت عنها الدراسات والأبحاث التاريخية التي ظهرت في بداية النهضة الحديثة.

ناقش الدكتور بيضون في هذه المحاضرة الظروف التي واكبت بيعة الإمام علي، وهي لم تكن كما هي ظروف الأئمة في مطلق الأحوال.

وتوقف عند نهج أمير المؤمنين(ع) والذي يمكن أن تختصره عبارة عمر بن الخطاب «يحملكم ـ أي علي ـ على طريقة هي الحق». ومن البديهي أن مثل هذا الخيار، كان لا يزال الإمام مصراً عليه، بل يراهن حتى آخر لحظة على إنجاحه، دون أن يعني ذلك أنه مجرد خيار نظري بعيد عن الواقع، ولكن الإمام عندما تصدى للمهمة الصعبة، إنما كان يراهن على تأسيس المجتمع الملتزم بفكره والمنخرط في مسيرته، ربما انطلاقاً من مساحة صغيرة إلى المساحة الأوسع للمجتمع «ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب إليّ من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تنوء بآثامها».

وهذا التشدد في الخطاب لم يكن ضرباً من التصرف الذي ربما أخذه بعضهم على الإمام. ولعل أي قارىء متمعّن في تاريخ تلك المرحلة يدرك جيداً أنه لا سبيل إلى الخروج من المحنة بغير ثمن باهظ. ومن السذاجة الاعتقاد بأن قليلاً من السياسة ربما غيّر مجرى الأحداث لمصلحته، لأن «الدولة» كانت منقسمة فعلاً حين تمّت البيعة له. لقد كانت الصورة واضحة لديه على الرغم من

تعقيدات الموقف. فهو صاحب مشروع جذري، اصطدم بمشروع توفيقي يحاول أن يعيد الخلافة إلى صورة «دار الندوة» وكان من دعاة الخط الأخير الأسرة الأموية.

وأكد أن هَمَّ الإمام كان إعادة صياغة النموذج على أساس الانخراط المطلق في مجتمع عقيدي، يشعر الجميع في ظله بالأمان ولا يمسهم قلق على مصيرهم أو حقوقهم في هذا المجتمع.

وانتهى بيضون إلى القول: «أن علياً كان يقاتل في سبيل مشروع يهدف إلى بلورة مجتمع إسلامي نموذجي، متطابق مع روح التجربة الرائدة التي وضع أسسها الرسول محمد(ص) في المدينة. ولعل قراءة فكر الإمام علي(ع) من خلال تراثه في «نهج البلاغة» والمصادر التاريخية والأدبية لا تدع مجالاً للشك بجذرية هذا المشروع واستحالة تعايشه مع أي مشروع توفيقي، سواء كان لهذه التوفيقية بعدها الجزئي أو الشمولي».

* * *